مجلة الدراسات التاريخية العسكرية

المجلد: الرابع (04) / **العـدد:** الأول (01) **(جانفي 2022)**،
ص54 - 63

تاريخ الاستلام **2021/12/19** تاريخ القبول: 2021/12/26

العنوان:

الرايس حميدو (1770-1815) وإنجازاته العسكرية

Rais Hamidou (1770-1815) And his military accomplishments

المؤلف:
رشيدة سباك/
المركز الوطني للدراسات والبحث-ت ع ج

البلد:
(الجزائر)

البريد الالكتروني:
rachida.sebbak@gmail.com

ملخص:

يعتبر الرايس حميدو من الشخصيات التاريخية ذات الصيت العالي التي تميزت بالمثابرة والكفاح إلى غاية وصولها إلى أعلى مراتب الريادة البحرية. تمكن الرايس حميدو من التكيف مع الأوضاع السياسية، العسكرية والاقتصادية فضلا عن شخصيته القوية ومهاراته العسكرية مكنته من الانتصار في العديد من الغزوات والحروب البحرية.

يعتبر هذا البحث محاولة لحماية الذاكرة الوطنية، وتعريفا بالمقومات الثورية والنضالية للشعب الجزائري بمختلف أطيافه عبر التاريخ.

كلمات مفتاحية: الرايس حميدو، ايالة الجزائر، البحرية الجزائرية في العهد العثماني، رياس البحر.

Abstract:

Rais Hamido is considered one of the most well-known Algerian historical figures. He was distinguished by a set of attributes such as perseverance and struggle that enabled him to reach the highest ranks of maritime leadership. His ability to adapt to various situations be they military or political, coupled with his strong personality and military skills, played a crucial role in reaching the highest naval positions, as well as winning many naval battles and wars.

Through studying the personality of Rais Hamidou and his exploits, this Article is a mere endeavor to protect the Algerian national memory, and an attempt to single out the revolutionary and militant attributes of the Algerian people throughout history.

Keywords: Rais Hamidou, the state of Algeria, the Algerian navy in the Ottoman era, Rias al-Bahr.

المؤلف المرسل: سباك رشيدة،

الإيميل: rachida.sebbak@gmail.com

مقدمة:

يعد الرايس حميدو من بين أبرز الأعلام والشخصيات التاريخية، والتي ظهرت على رأس قيادة الأساطيل البحرية الجزائرية في الحقبة العثمانية. فهو رمز من رموز المجد في البطولات البحرية التي ألهمت العديد من المؤرخين والكتاب في سردهم للحقائق التاريخية المليئة بالإنجازات التي تبرز أهمية هذه الشخصية الحافلة بالشجاعة والإقدام.

إن مختلف المصادر والمراجع التاريخية تسرد أهم المحطات والمواقف البطولية لهذه الشخصية، والتي برزت من العدم وصولا إلى التقلد بأعلى الأوسمة في الريادة البحرية. فقد كانت القوات البحرية الأوروبية تضمر له العداوة جراء المضايقات والخسائر التي كبدها لهم في البحر الأبيض المتوسط. فما دور الرايس حميدو في إنعاش خزينة الدولة الجزائرية؟ وما هي أهم إنجازاته على الصعيد العسكري؟

1. رياس البحر الجزائريين ومهامهم

تطلق تسمية رياس البحر على كل من له صلة بالبحر حيث يلقب كل قائد لمركب بحري بلقب رايس أو قبطان رايس، ولذلك فقد كون رياس البحر أهم فرقة عسكرية في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني. وكان لهذا الجيش البحري نظام خاص لخوض غمار البحار فلم يكونوا خاضعين بشكل كلي للنظام الإداري، ومع استقرار الأتراك في مدينة الجزائر تحول نشاطهم في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة بحرية لها نظام خاص بها، فقد كانت هذه الفرقة منظمة بشكل دقيق. كان التدرج في الرتب متاحا للجميع والشرط الوحيد هو الجرأة والكفاءة، حيث يصف وليم سبنسر بقوله: "... قد كانت فرص الصعود في مراتب ضباط الأسطول العثماني الحديث النشأة متوفرة لكل الرجال ذوي الكفاءة والجرأة..."[1]. يشرح لنا مولاي بالحميسي مزايا هذه الفئة من حيث الكفاءة والقيادة البحرية في تلك الفترة والتي كانت تتسم بالتقدم والتطور من حيث العدة والعتاد. فالواجهة البحرية الجزائرية كانت غالبا متحكمة من طرف الإخوة بربروس وبحارتهم الذين كانوا ينشطون بدافع ديني يدفعهم للهجوم على المسيحيين. ولذلك فإن النشاط الذي مارسته البحرية الجزائرية خلال القرن 16م عبارة عن جهاد بحري وامتداد لمقاومة الحروب الصليبية وذلك نظرا لأسبابها الدينية ودوافعها العاطفية، وبالتالي لم تكن الفوائد المادية التي جنتها الجزائر من جراء الجهاد البحري هدفا رئيسيا للقرصنة.[2] ومع مجيء نخبة كأمثال الرايس حميدو فنلاحظ هناك تغير في الأهداف والغايات بحيث أصبحت القرصنة البحرية في البحر الأبيض المتوسط تأتي بثمارها على الخزينة الجزائرية من حيث الغنائم البحرية.

وقد أدى رياس البحر دورا هاما في قيادة الأسطول العثماني أو في إعادة بنائه وتدعيمه، كما ساهمت البحرية الجزائرية التي كان يقودها رياس أكفاء في معظم الحروب التي شنتها الخلافة العثمانية على الدول الأوروبية الصليبية،أو في محاصرة و احتلال الجزر التي كان المسيحيون يسيطرون عليها، أو في تحرير أراضي المسلمين كتونس و طرابلس من وطأة الصليبيين الأوروبيين، إذ كانت وقتها الجزائر بمثابة الحامي في وجه الإمبراطوريات الصليبية بالجزء الغربي من الحوض المتوسط، وهذا ما دفع بالمؤرخ الأمريكي وليم سبنسر إلى القول: "...إن مدينة الجزائر كعاصمة لدولة مستقرة وقوية في شمال إفريقيا قد مثلت إلى جانب تونس وطرابلس طرف القوة الإسلامية

العثمانية القاطع والمنهمك في المقارعة الصليبية ضد المسيحية، كالشفرة الحادة المدفوعة بعمق في التراب المسيحي "[3].

كما يصف محمد العربي الزبيري في مقدمته لكتاب عن الرايس حميدو لصاحبه ألبير دوفو، عن فترة حكم رياس البحر بقوله: "... واشتهرت الجزائر بأنها دار الجهاد، وكان الجزائريون يعتزون بهذه الصفة، ويولون اهتماما خاصا بالبحرية التي مكنتهم من السيطرة أجيالا عديدة على حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أجبر دول أوروبا وأمريكا على دفع إتاوات لداي الجزائر. وقد كانت أسمى مرتبة يصل لها مجاهد البحر، هي مرتبة ريس وهي مرتبة بلغ إليها عدد كبير من أبناء المغرب العربي"[4]. وهو ما يبين لنا أهمية هذه الفرقة من الضباط البحريين التي كان يفتخر بها الجزائريون والتي أضفت ميزة الجهاد والبسالة البحرية لهذه المنطقة من حوض البحر الأبيض المتوسط، مما أدى بالقوات الأجنبية إلى الرضوخ إلى المطالب المالية على شكل إتاوات للسماح لها بالإبحار بكل حرية.

وخلال القرنين 17و18م بلغ عددهم أثناء حكم الداي مصطفى باشا (1798م-1805م) حوالي 500 رايس، بعضهم يعمل في المراكب الجهادية في البحار والبعض الآخر يمثلون رؤساء الطرق، والبعض يقيمون في البلاد، ووضع لهم مرتب قدره 40 بوجو.[5]

2. نشأة القائد رايس حميدو

إن القائد الذي اشتهر باسم الرايس حميدو كان من أهم الشخصيات التاريخية الجزائرية، فقد ولد بالجزائر العاصمة سنة 1770م[6].لم يكن للرايس صلة بالأتراك أو الكراغلة، فقد كان ينتمي إلى طبقة من العرب المتحضرة، والتي كان يطلق عليها السكان الأصليون بسكان المدينة نسبة لمكوثهم في الأحياء الرئيسية للمدن. فهو ينحدر من عائلة مورية الأصل[7].

كان الرايس حميدو مثالا يحتذى به في الجرأة والشجاعة، حيث يصفه ألبير دوفو أنه كان ذو فصاحة وسلاسة في اللغة، أنيقا في اللباس، لطيفا مع الجميع. كما تجلت خصاله في التعامل الحسن مع العشائر الكبرى، فقد كان ذو صيت عال دون التفاخر بالذات بين الناس فهو القائد المعروف بانتصاراته والمتشبع بروح القتال والبسالة[8].

لم يكن هناك ما يؤكد بأن حياته ستكون مليئة بالبطولات في البحار. كانت أمنية أبيه امتهان وممارسة حرفة الخياطة. أثناء بلوغه سن 10 أو 12 من عمره، قام باصطحابه إلى أشهر الخياطين في الجزائر لتعلم حرفة الخياطة. وعلى حسب الروايات، كان كثير الغياب عن ورشة الخياطة، قاصدا البحارة العائدين من الرحلات البحرية، كان كثير الإصغاء لرواياتهم ومغامراتهم المملوءة بالمخاطر.[9] فأصبح متلهفا إلى ترك حرفة الخياطة جانبا والسير وراء أولئك الذين يعتبرهم أبطال. فقد كان حاميا للدين الإسلامي، حيث تربى على الدين الإسلامي وكره الاستعمار المسيحي. فهذا الكره يعتبر قاعدة جوهرية للمقاتلين المسلمين[10]، فقرر بكل عزم ترك مهنة الخياطة للتفرغ والانشغال بمهنة الملاحة البحرية، فاشتغل نوتيا (بحارا) على متن سفينة أحد القراصنة الذين كان عددهم كبيرا في مدينة الجزائر في تلك الفترة. وكان حميدو يقول إن كل ما يريده من وراء صعوده إلى السفينة سوى تنشيط ركبتيه اللتين أصابهما الفشل بفعل وضعيتهما غير المريحة أثناء قيامه بعمل الخياطة[11].

3. الإنجازات العسكرية للرايس حميدو في البحر الأبيض المتوسط

كانت أهم المعارك الموفقة التي خاضها الرايس حميدو، وساعدت على ذيوع شهرته تلك المعركة التي نشبت بينه وبين بعض السفن الأمريكية سنة 1793، واستطاع أن يستولي في نهايتها على إحدى تلك السفن بما عليها من الغنائم والأسرى، وكان الباعث القوي في هذه المرة على تصدي حميدو للسفن الأمريكية هو إرغامها على

الاعتراف بسيادة الدولة الجزائرية على الجزء الجنوبي من البحر الأبيض المتوسط، وبتسديد الإتاوة التي كانت تسدّدها تلك الدول كمظهر من مظاهر ذلك الاعتراف وفقا للتقاليد التي كانت متبعة في ذلك العهد[12].

وكان هذا الحادث من بين الأحداث التي دفعت بالكونغرس الأمريكي سنة 1794 إلى اتخاذ قرار بإنشاء أسطول حربي لحماية السفن التجارية الأمريكية، وبعد إنشاء ذلك الأسطول قامت أمريكا بمهاجمة الشواطئ الليبية سنة 1796، إلا أن حملاتها هذه باءت بالفشل واستطاع المجاهدين البحريون من الليبيين أن يثأروا لبلادهم وأن يغنموا سفينتين أمريكيتين بما فيهما من الملاحين والمؤن والعتاد.وأخيرا اضطرت أمريكا إلى التقرب من الحكومة الجزائرية، فوقعت معها معاهدة تعهدت بموجبها أن تدفع مبلغ 642 ألف دولار دفعة واحدة مضافة، إلى ما قيمته 121 ألف دولار من المعدات الحربية سنويا مع الاعتراف بالسيادة الجزائرية على هذه المنطقة من البحر الأبيض المتوسط، في مقابل إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين، وضمان عدم تعرض السفن الجزائرية للسفن الأمريكية فيما بعد والتوسط لدى الدول الإسلامية المجاورة لإقناع المجاهدين البحريين التابعين لها بعدم التعرض لها أيضا[13].

بدأ الرايس حميدو مغامرته وكفاحه في البحر بقيادة ثلاث سفن صغيرة (أشباق)[14]كانت راسية بميناء وهران وكان ذلك بتشجيع من حاكمها، فراح يتصدى لرد سفينتين حربيتين قادمتين من جنوة بالقرب من جزر الباليار. فقد كانت القوات غير متكافئة من حيث القوة والعتاد، ومع ذلك فإن الرايس حميدو لم يلجأ إلى الفرار والتخفي بل قام بمناورات في منتهى البراعة في التخطيط والنشاط البحري، فتمكن في الأخير من إرغام وإبعاد السفينتين دون انهزام، نظرا لعدم التكافؤ العسكري بين القوتين.[15]

وبلغت الأخبار إلى داي الجزائر حسن بن حسين[16] فأعجب بعمله البطولي واستدعاه إلى ديوانه فحظي باستقبال الأبطال، وأسند إليه رئاسة مركب من نوع المراكب الضخمة الكبيرة المعروفة باسم الشبك[17]، يحمل 12 مدفعا و60 شخصا على متنه، تاركا له الحرية المطلقة في ارتياد أي ناحية من نواحي البحار[18].إلا أن التوفيق لم يحالفه في مغامراته هذه المرة بحيث تسلطت عليه الطبيعة بزوابع وعواصف أغرقت معظم مراكبه ونجا الرايس من ذلك. فاضطر بعدها إلى اللجوء في مدينة قسنطينة سنة 1800م. فاستدعاه فيما بعد الداي مصطفى باشا إلى الجزائر، مصححا لنكبته السابقة، حيث وعد الرايس حميدو هذا الأخير بالحصول على سفن جديدة أخرى. فهب الرايس حميدو على الفور في فتح باب التطوع والجهاد للراغبين في المغامرة والنضال، فالتف حوله المئات من الملاحين والجنود المتفننين لفنون الملاحة و أصحاب الخبرة في الحروب البحرية[19].

وبعد إعداد الرايس حميدو لفرقاطته لمحاربة البرتغاليين، وأثناء اقترابه من السفينة البرتغالية التي كانت تحمل علم إنجلترا، أمر أتباعه برفع السناجق ورايته التي كانت تمتاز برسم الفرس عليها (الصورة رقم01)، فانطلق بين أصوات التهليل والتكبير ودعوات المشيعين بالنصر والجهاد مبحرا لغزوات وانتصارات جديدة.[20]

الصورة رقم 01: راية الفرس للرايس حميدو

وقد ذاع صيت الرايس حميدو في كل بقاع العالم وما حققه من بطولات وإنجازات في أعالي البحار. ونذكر مثلا خروجه في سنة1799م، التي التقى فيها مع فرقاطة[21] كبيرة للبرتغاليين أكبر من فرقاطته، وقد تمكن منها بعد أن تلاحم مع بحارتها بالسيوف، ثم جرها إلى ميناء الجزائر، حيث استقبل وبحارته استقبال الأبطال، ليكرم من قبل الداي شخصيا، وتضاف غنيمته إلى الأسطول البحري الجزائري[22].

ومع الانتصار الأخير للرايس حميدو على فرقاطة برتغالية أخرى سنة 1802م، فقد أسفرت هذه الحادثة إلى ارتفاع عدد البرتغاليين الأسرى: فبعد ما كان عددهم 40 أسيرا سنة 1795م، ثم 95 أسيرا عام 1799م، فقد أصبح عددهم سنة 1802م 366 أسيرا. وهذا العدد المرتفع من الأسرى أدى إلى عقد معاهدة السلام بين القوتين المتخاصمتين عام 1806م، وهذا بإرسال فرقة بحرية برتغالية إلى الجزائر،وبحضور كل من القنصل الإنجليزي، الهولندي والدانماركي، الذين مارسوا كل أساليب الإقناع والضغط على الداي.[23] وفي الأخير رضخ لمطالبهم وأطلق بموجبها سراح جميع الأسرى[24].

4. أهم الغنائم التي تحصل عليها الرايس حميدو

خلال الثمانية سنوات التي قضاها مصطفى باشا في منصبه كداي للجزائر، حافظ الرايس حميدو على قيادة سفينته (la corvette) واستمر ذكره بجانب هذه السفينة في دفتر الغنائم. فبدايتها كانت مع اغتنام الرايس حميدو بسفينة من جنوة كانت محملة بمادة البوتاس[25] يوم (17 جويلية 1797م). وقدرت الغنيمة بـ 10000 فرنك.[26]

غنمت الفرقاطة التابعة للرايس حميدو وسفينة الرايس تشلبي، سفينة فينيسية(بندقية) محملة بكل الأنواع من الأقمشة، 03 سفن نابولية محملة بالقمح، والتي بيعت لتونس، مع الإتيان بالحمولة إلى الجزائر. ضف إلى ذلك احتجاز 28 رهينة. (15 ديسمبر 1797م)، وتقدر الحصيلة بـ 433036 فرنك و12 سنتيم[27].

وغنمت أيضا فرقاطة الرايس حاج يعقوب وسفينة الرايس حميدو، وسفينة قارة دانقلي، وسنبك[28] الرايس محمد وعلي، والرايس قردورلي، سفينة نابولية محملة ببضائع مختلفة (جوان 1798م) ويقدر المنتوج بقيمة 6798 فرنك.كما غنمت نفس السفن السابقة الذكر سفينتين نابوليتين محملتين بالقمح واللوبيا، والتبغ، ومواد زجاجية، وألواح وأشياء أخرى(16 جويلية 1798م). ويقدر المنتوج بقيمة 67470 فرنك و60 سنتيما.[29]

وغنمت نفس السفن، سفينة محملة بالقمح (03 أوت 1798م)، ويقدر المحصول بمبلغ 1047 فرنك و60 سنتيما.[30]

لقد احتجز الرايس حميدو شنبقا نابوليا مشحونا بالفول، ويحمل على متنه تسعة كفار (9 جوان 1799) ويقدر المحصول بمبلغ 4326 فرنك و60 سنتيما.ولقد احتجزت أيضا حراقة[31] الرايس حميدو ثلاث سفن نابولية مشحونة بالملح، وتحمل على متنها ثلاثة وأربعين كافرا (30 أوت 1799) ويقدر المحصول بمبلغ 25468 فرنك و80 سنتيما.كما غنم أيضا بسفينتين نابوليتين مشحونتين بالملح، وتحملان على متنها خمسين كافرا (2 جانفي 1800). ويقدر المحصول بمبلغ 36499 فرنك و40 سنتيما.[32]

استولت السفن التابعة للرايس حميدو والرايس علي التاتار سنة 1813م، على سفينة سويدية محملة بالقماش وسفينتين هولنديتين محملتين بالملح. وكل هذه الغنيمة قدرت بـ 632659 فرنك و50 سنتيم.[33]

احتجزت السفن الخمس التابعة لكل من الرايس حميدو، الشولاق حسين، الحاج أحمد الحداد، الرايس عمر، والرايس حسين القريتلي، على سفينة (جوليت) اسبانية محملة بالكاكاو وسفينة هولندية محملة بالملح، وسبعة أسرى. (1815م)، ويقدر المنتوج بـ 176344 فرنك و87 سنتيم.[34]

5. قائمة لبعض أسماء الرياس الذين شاركوا الرايس حميدو في انتصاراته (حسب دفتر التشريفات)[35]

السنة	اسم الرايس
1798م	الرايس حاج يعقوب
//	الرايس قارة دانقلي
//	الرايس محمد وعلي
//	الرايس قردورلي
1813م	الرايس علي التاتار
1815م	الرايس أحمد الحداد
//	الرايس عمـر
//	الرايس حسين القريتلي

6. الحرب مع أمريكا ووفاة الرايس حميدو

يقول أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن الرايس حميدو أثناء دخوله إلى الجزائر، قام بتوصيل خبر مجيء مجموعة من السفن الأمريكية مؤلفة من تسعة فراقط، وبراید، قاصدة الجزائر وأميرها عمر باشا[36] لطلب الصلح. فتدخل وكيل الحرج وقال للأمير أن دخول الرايس حميدو قبل إتمام سفره ما هو إلا تدخل شخصي وذاتي ليبرهن الحرية المطلقة التي كان يمتاز بها. وبعد سماع الرايس لأقاويل الوكيل طلب من الأمير السماح له بالسفر، فباشر رحلته بعد ثلاثة أيام على متن غليوطة وبلاندرة. التقى الرايس حميدو بالأسطول البحري الأمريكي المتكون من عشرة مراكب فأحاطت به من كل جهة، فابتدأ الصراع بين القوتين البحريتين. إلا أن التفوق العددي للأسطول البحري الأمريكي قلب الكفة لهذا الأخير،وكانت من نتائجها استشهاد الرايس حميدو بعد ضربه بقذيفة (كورة) مدفع قسمته

إلى نصفين. في وجود خليفته أحمد ولد عمر الذي يسمى بالباش رايس الذي حمله وألقى به في البحر، فواصل هذا الأخير الجهاد لمدة خمس ساعات متتالية، استشهد من خلالها العديد من المسلمين مع تحطم الفرقاطة وهذا من خلال تسرب المياه إلى خزنة البارود. أما باقي الفرقة البحرية الجزائرية، فأصبحوا رهائن لدى الأسطول الأمريكي الذي قيدهم ومارس عليهم كل أنواع التعذيب والاستغلال. باشر الطاقم البحري الأمريكي البحث عن جثة الرايس حميدو فلم يجدوه، فأحسوا بالغضب من فقدانه واقتادوا فرقاطته وبلاندرته إلى سواحل قرطاجنة. فانتقل فيما بعد الأسطول الأمريكي إلى الجزائر لطلب الصلح مع الأمير عمر باشا، وكان الرد مليئا بالعداوة والامتناع عن المصالحة. إلا أن الوفد الأمريكي الممثل من طرف أميرال، قام بتعهد والتزام في إبراز الفرقاطة التي كانت تحتوي على رهائن المسلمين والإتيان بها بالقرب من شواطئ تامنفوست، وهذا كبرهان عن حسن النية في تسوية الأوضاع، فرضخ الأمير عمر باشا إلى قبول الصلح وقام بإنزال الأسرى المسلمين وإصلاح الفرقاطة. وبعدها استرجاع البلاندرة التي استولت عليها اسبانيا على سواحلها، فقامت بإرجاعها إلى المرسى[37].

7. قراءات تاريخية عن بطولة الرايس حميدو

القنصل الأمريكي توبياسليار(TobiasLiar) (1803-1812): "إن الأسطول الجزائري، كان يقودها القبطان الشهير الرايس حميدو الذي يحمل رتبة أميرال، إنه مقدام، مفعم بالنشاط، قائد مغامر...".

القنصل الأمريكي وليام شالر(William Shaler)((1815-1828): "ارتقى حميدو إلى مركز القيادة بسبب ما كان يتمتع به من الذكاء الحاد والشجاعة الخارقة".

الضابط الأمريكي جاكسون(G.J Jackson): "الرايس حميدو، أميرال الجزائر، سقط بشجاعة دفاعا عن سفينته في آخر معركة له مع القائد ستيفن ديكاتور، إنه عربي ... قام بأول تجربة له وتعرض للخطر والشدة، اللذان دفعا به إلى البسالة والشجاعة."

فيليبوبانانتي(PhilippoPananti): "لقد كان لي الشرف أن وقعت أسيرا في أيدي رايس، يسمى حميدو، ولو أن له بشرة داكنة، أو على الأصح، كانت ملامحه المخيفة وسلوكه يبعثان على الاشمئزاز. ومع ذلك، فإن الحكم في الجزائر لا يتغير تقريبا إذ تمنح القيادة الهامة للانكشاريين، فهذا الشخص وصل إلى رتبة أميرال كبير، على الرغم من أنه جزائري، بل أكثر من ذلك، أنه ينظر إليه بحقارة بسبب عرقه كجزائري. فوصوله للسلطة يرجع إلى الاستحقاق والشهرة، والألقاب التي يحملها جعلته يبقى في السلطة. على الرغم من كثرة الأتراك الذين حاولوا بكل الوسائل أن يحلوا محله، فحميدو يتمتع حقيقة بمواهب وشجاعة...جعلت اسمه في مصاف شخصيات مثل سنان، دراقو..."[38].

ألبير دوفو(Albert Devoulx): "...كان مثالا يحتذى به في الجرأة والشجاعة، ذو فصاحة وسلاسة في اللغة، أنيقا في اللباس، لطيفا مع الجميع. كل هذه الخصال تجلت في التعامل الحسن مع العشائر الكبرى، فقد كان ذو صيت عال انجر منه التفاخر بالذات بين الناس فهو القائد المعروف بانتصاراته والمتشبع بروح القتال والبسالة"[39].

الخاتمة

يعتبر البحار الرايس حميدو من بين الشخصيات التاريخية التي وجب علينا الحفاظ عليها في سجل الذاكرة، كونه شخصية وطنية ملهمة ساهمت بفضل شجاعتها و ريادتها في قيادة الأسطول البحري الجزائري في الفترة العثمانية. فقد بدأ بحارا بسيطا متلهفا لخوض غمار البحار، ثم متعلما لأسرار القيادة والريادة إلى أن وصل به المطاف في الأخير ليصبح من أبرز الرياس التي أنجبتهم البحرية الجزائرية. فقد كان بالمرصاد لكل القوى الاستعمارية التي كانت تسعى دائما للحصول على خيرات البلاد، مساهما في تقوية الأسطول البحري الجزائري بسفن أجنبية حاز عليها في غزواته المختلفة والمتعددة. ناهيك عن الإيرادات المالية التي منحها للخزينة العامة من خلال بيع المحاصيل والأسرى. فالرايس حميدو شخصية استثنائية في الذاكرة الوطنية فهو يمثل الصورة الرمزية بالنسبة لإنجازاته العظيمة في البحرية الجزائرية. فهو شخصية بارزة في تاريخ الجزائر لا يزال البحث على تاريخها في الأرشيفات والكتب التاريخية، فكل خطوة في إبراز وتوضيح حياة هذا القائد تحسب في إطار حماية تاريخ الجزائر وشخصياته من النسيان. وتتجلى المجهودات المبذولة من طرف الباحثين في المساهمة في إثراء الذاكرة الوطنية الملهمة للأجيال المستقبلية.

الهوامش

[1] وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم الدكتور عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص11

[2]Moullay Belhamissi, **Marine et Marins d'Alger (1518-1830) - navires et les hommes**, tome 1, Bibliothèque Nationale d'Algérie, Alger, 1996, pp 11-12.

[3] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص10

[4] البير دوفال، **الريس حميدو**، تعريب الدكتور محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972، ص4.

[5]يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج02، الجزائر الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص176.

[6]علي تابليت، **الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815**، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص3

[7] Albert Devoulx, **Le Rais Hamidounotice biographique**, typographie Adolph Jourdan, Alger 1859, p14.

[8]Albert Devoulx, Ibid, pp 16-17

[9]البير دوفال، المرجع السابق، ص15.

[10]إسماعيل توتة، يوسف صداقي، «**الرايس حميدو أول بحار محلي في أسطول الجزائر العثمانية (1770-1815)** » ، مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 01، ص80.

[11]علي تابليت، المرجع السابق، ص3.

[12]Roland Courtinat, **La piraterie barbaresque en Méditerranée : XVIe XIXe siècle (2000),** 2003, pp 35-36.

[13]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**،الجزء الثالث،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1995، ص ص 585-586.

[14] الشبق هو كل سفينة صغيرة. وبفضل استعمال هذا النوع من المراكب لخفته وقلة كلفته.

[15] البير دوفال، المرجع السابق، ص19.

[16]"داي الجزائر حسن بن حسين"يقال عن هذا الباشا أنه اشتغل قرصانا في شبابه، وكان قبل الوصول إلى مرتبة الداي وكيلا للحرج أي وزيرا للبحرية. كما أنه كان يعرف قيمة الرجال الشجعان، ويهتم كل الاهتمام بالشؤون البحرية. ولذلك سارع الى استقدام الرايس الشاب الذي امتدت شهرته إلى العاصمة. فترة حكمه لإيالة الجزائر (سنة 1205هـ-1790م إلى 1212هـ-1797م).

[17] الشباك أو الشبك: استخدم في البحر الأبيض المتوسط فهو مركب حربي صغير الحجم. عن وفيق بركات، **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي**، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، 1995، ص154.

[18] Albert Devoulx, **Le Rais Hamidou** – notice biographique, op.cit., p30.

[19]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص586.

[20]عائشة حنفي، « **البنود والأعلام البحرية بالجزائر في العهد العثماني** » ، مجلة دراسات تراثية لمخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، العدد 05، الجزء الثاني (عدد خاص)، 2014، ص324.

[21]فرقاطة: استعمل هذا النوع من السفن من طرف الأوروبيون والعثمانيون في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود. فهي سفينة متوسطة الحجم وخفيفة، حيث استعملت في أوائل القرن 17م. عن وفيق بركات، المرجع السابق، ص 155.

[22]صباح نوري هادي العبيدي، توفيق دحماني، «**إيالة الجزائر العثمانية:بين موارد البحر والضرائب** » ، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد 4، العدد 10، 2017، ص130

[23] De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830)**, E. Leroux, France 1887, pp 366-367

[24] Daniel Panzac, « **Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIIIe - début XIXe siècle)** », Cahiers de la Méditerranée, 2002, p10.

[25]البوتاس: مادة أولية لصناعة الصابون.

[26] Paul Desprès, Rais Hamidou : **Le dernier corsaire barbaresque d'Alger**, Editions L'Harmattan, Paris.2007, p14.

[27] Albert Devoulx,**le registre des prises maritimes**, typographie Jourdan A., Alger, 1872, p62.

[28]السنبك (السمبوك): سفينة تستعمل في البحار والأنهار باعتبارها سفينة صغيرة، فهي من ملحقات الأسطول. عن وفيق بركات، المرجع السابق، ص155.

[29]علي تابليت، المرجع السابق، ص10.

[30]البير دوفال، المرجع السابق، ص50.

[31]الحراقة: سفينة حربية تستعمل لحمل الأسلحة النارية مهامها رمي النيران على العدو. عن وفيق بركات، المرجع السابق، ص153.

[32]البير دوفال،المرجع السابق، ص ص 56-57.

[33]Albert Devoulx, **le registre des prises maritimes**, Op.cit., p99.

[34]Ibid., pp100-101.

[35]Albert Devoulx, **Tachrifat – Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, Impr. Du Gouvernement, Alger1853, pp 86-90

[36]يقول ليون روش في كتابه ثلاثون سنة خلال الإسلام: أنه روى عن ابن عمر باشا شخصيا قوله: «قدم أبي من تركيا إلى إفريقيا على نفس المركب التي امتطاها محمد علي الذي أصبح باشا مصر، واتصلت بينهما الصداقة وكانا قاصدين مصر معا، لاستخلاصها من الجيش الفرنسي، وأفضى كلاهما لصاحبه بمطامعه وأحلامه فقال محمد علي لعمر: لا يجب أن نكون معا في بلد واحد، لأننا لا محالة سنتصادم ونختلف فأنا سأذهب لمصر، وأنت اذهب إلى بلد آخر. واتفقا على ذلك فكان عمر ممن قدم إلى الجزائر، ووصل إلى كرسي الباشوية، لكن أيامه كانت أيام سوء في البلاد". نقلا من كتاب أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، **ذخائر المغرب العربي**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص128.

[37]أحمد توفيق المدني، نفسه، ص ص 117-118.

[38]علي تابليت،المرجع السابق، ص32

[39]Albert Devoulx ;**Le Rais Hamidou – notice biographique**, Op.cit., pp16-17.